يكون قد استغفر الله لذنبه وأحرم بركعتي الاستغفار والإنابة فيكون المعنى وخرّ
للسجود راكعًا مصليًا لأن الركوع يجعل عبارة عن الصلاة وأناب ورجع إلى الله بالتوبة
والتنصّل وروي أنه بقي ساجدًا أربعين يومًا وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة
أو ما لا بدّ منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه إلى رأسه ولم يشرب
ماءً إلا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبًا إلى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك
واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له إيشا على ملكه ودعا إلى نفسه
واجتمع إليه أهل الزيغ من بني إسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي أنه نقش
خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل إن الخصمين كانا من الإنس وكانت الخصومة
على الحقيقة بينهما إما كانا خليطين في الغنم وإما كان أحدهما موسرًا وله نسوان
كثيرة من المهائر والسراري والثاني معسرًا ما له إلا امرأة واحدة فاستنزله
عنها وإنما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة أن يكونا مغتالين وما كان
ذنب داود إلا أنه صدّق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسألته **خليفة في الأرض**
أي استخلفناك على الملك في الأرض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد وتملّكه
عليها ومنه قولهم خلفاء الله في أرضه أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء
القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير
فاحكم بين الناس بالحق أي بحكم الله إذ كنت خليفته **ولا تتبع** هوى النفس في قضايك
وغيره مما يتصرف فيه من أسباب الدين والدنيا **فيضلك** الهوى فيكون سببًا لضلالك
عن سبيل الله عن دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها وأوحى بها ويوم
الحساب متعلق بنسوا أي بنسيانهم يوم الحساب أو بقوله لهم أي لهم عذاب يوم
القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني مروان أنه قال
لعمر بن عبد العزيز أو للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا أن الخليفة
لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم
الأنبياء ثم تلا هذه الآية **بينهما باطلا** خلقًا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة أو

أو مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما
إلا بالحق تقديره ذوي باطل أو عبثًا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئًا موضع
المصدر وهو صفة أي ما خلقنا نفوسًا أودعناها العقل والتمييز ومنحناها
التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا
لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم وذلك إشارة إلى خلقها للعبث لا للحكمة
هو ظنّ الذين كفروا **فإن قلت** إذا كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والأرض
وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله فبم جعلوا
ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة **قلت** لما كان إنكارهم للبعث والحساب والثواب
والعقاب مؤديًا إلى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه
لأن الجزاء هو الذي سيقت إليه الحكمة في خلق العالم من رأسها فمن جحد الحكمة من
أصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفّه الخالق وظهر بذلك أنه لا يعرفه
ولا يقدره حق قدره وكان إقراره بكونه خالقًا كلا إقرار أم منقطعة ومعنى الاستفهام
فيه الإنكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال
من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوّى بينهم كان سفيهًا ولم يكن حكيمًا وقرئ
مباركًا ولتدبروا على الأصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر
فيها والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة
والمعاني الحسنة لأن من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكبير طائل وكان
مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن
الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه
وضيعوا حدوده حتى إن أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه
حرفًا وقد والله أسقطه كله ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل والله ما هو
بحفظ حروفه وإضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثّر الله
في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين وأعذنا من القراء المتكبرين